١٥

شَرْحُ القَصِيدَةِ الحَائِيَّة

لِلْإِمَامِ

أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ

المتوفى سنة (٣١٦) رحمه الله تعالى

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

مُحَمَّد مَهْدِي بْن مُحَمَّد جَمِيل النُّورِسْتَانِي

حَفِظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيغ

النُّسْخَةُ الأُولَى

شرح

القصيدة الحائية

١٥

شرح

القصيدة الحائية

للإمام

أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني

المتوفى سنة (٣١٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨ مجالسًا).

٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ١١ مجلسًا).

٣- الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجلسًا).

٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحدًا).

٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني مجلسان).

٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (ولا زال مستمرًّا).

١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الأول).

١١- العقيدة الواسطية (الشرح الثاني).

١٢- العقيدة الواسطية (الشرح الثالث).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (أربعون مجلسًا).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (ثلاث مجالس).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠ - **العقيدة التدمرية** (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤ - **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥ - **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦ - **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧ - **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام** (لازال مستمرًا).

٤٨ - **الصفات المعنوية.**

٤٩ - **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات

t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرو أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثم أما بعد:

فهذه رسالة: المنظومة الحائية للإمام أبي بكر بن سليمان بن الأشعث السجستاني، اسمه عبد الله، ووالده هو الإمام المعروف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

ولد الإمام أبي بكر بن أبي داود، ولد في سيجستان في سنة ثلاثين ومئتين.

وسجستان تقع في جنوب خرسان، وهي منقسمة الأن بين دولتين، ستون في المئة منها في أفغانستان، وأربعون في المئة منها في إيران، هذه المنطقة كانت تسمى سجستان، وهذا الاسم مهجور الآن، ومركز سجستان مدينة نهروز.

والإمام أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب السنن، الذي توفي سنة مئتين وخمسة وسبعين، ولد هناك، وتوفي في البصرة، استوطن البصرة أخيرًا.

أما ولد الإمام أبو بكر فاستوطن بغداد، ولذلك هو يعد من البغداديين، سافر به أبوه الإمام أبو داود وهو صغير، سافر به إلى مراكز العلم المعروفة في ذلك الوقت، في خرسان، وأصبهان، والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، ومصر، وغيرها، وأسمعه على كبار الأئمة في ذلك الوقت.

وكان الإمام أبو بكر بن أبي داود كان ذا همةٍ عالية منذ صغره، ومن دلائل همته قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: دخلت الكوفة، ومعي درهمًا واحد، فأخذت به ثلاثين مد باقلان، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلان حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مقطوعٍ، ومرسل.

والإمام أبي بكر اشتهر بالحفظ، والإمامة مثل أبيه.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثت من حفظي بأصبهان بستةٍ وثلاثين ألف حديث، يعني حدثها من حفظه، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث، يعني قالوا له: أنت وهمت في سبعة أحاديث، بعدما حدثهم ستةً وثلاثين ألف حديث من حفظه.

يقول: فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسةً منها على ما كنت حدثتهم به، يعني خطآن فقط في ستةٍ وثلاثين ألف حديث.

طبعًا شيوخه هم كبار الأئمة، شارك والده في كثير الأئمة مثل: أحمد بن صالح، وأحمد بن بشار، إسحاق الكوسج، عمرو بن علي الفلاس، محمد بن يحيى الذهلي، هؤلاء شيوخه، وشيوخه أبيه أيضًا، شارك والده في كبار الأئمة.

وتلاميذه أيضًا منهم ابن حبان، والدارقطني، وابن شاهين، والحاكم، وابن بطة، هؤلاء كلهم أئمة، وهم تلاميذ للإمام أبي بكر بن أبي داود.

يقول الخلال عن ابن أبي داود: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، وكان ممن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه.

يعني كان هناك من هو أسند منه، ولكنه لم يبلغوا في الآلة، والإتقان ما بلغ هو.

وقال الخطيب البغدادي: كان فقيهًا، حافظًا.

وبعضهم قدمه حتى على أبيه، هو الإمام أبو داود، يعني بعضهم قدمه في الإمامة، والعلم حتى على أبيه.

يقول الإمام الذهبي: كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين، ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف، وانتهت الناس إليه في الحنابلة ببغداد.

والإمام ابن أبي داود من أئمة السلف مثل أبيه أبي داود، وفي بعض النسخ من هذه الحائية أنه بعد أن انتهى منه، كتب: هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا هم، فمن قال علي غير ذلك فقد كذب.

وهذه المنظومة، إن لم تكن أول منظومة في العقيدة، فهي من أوائل المنظومات.

والإمام ابن أبي داود توفي سنة ثلاثة مئة وست عشر، السنة التي توفي فيها أبو عوانة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهو متقدم، مما يدل على أن هذا النظم، وهذه الرسالة من أوائل الرسائل التي ألفت في العقيدة.

أما من حيث النظم فقد تكون أول رسالة، وإلا فهي من أوائل الرسائل، وهذه الرسالة هي رسالة الإمام المعروف من أئمة السلف، عرف بإمامته في الحديث عمومًا، وفي السنة خصوصًا، قالوا: وفي ذلك حاق به، الإمام أبو داود.

الإمام أبو داود كان من أخص تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أحمد كان من أشهر تلاميذ الإمام الشافعي، والإمام الشافعي كان من أشهر تلاميذ الإمام مالك بن أنس، وهؤلاء كلهم معرفون بإماتهم في الحديث عمومًا، وفي السنة خصوصًا.

والإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتب عديدة منها:

١ـ السنن، كتابه السنن، ذكر فيه كتابًا مستقلاً سماه كتاب: السنة، وفي هذا الكتاب ذكر كثيرًا من أمور العقائد، والدعوة إلى السنن، والدعوة إلى التمسك بالسنن، وهو في أواخر سنن أبي داود.

يقول الإمام ابن أبي داود، يقول في هذه النظم:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ ... عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

في بعض النسخ: قرآنه.

وَلَا تَقُلِ: الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

أول ما بدأ الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أول ما بدأ، بدأ بهاذين البيتين، وفي هاذين البيتين تحديد مصدر التلقي، بما أن هذه الرسالة في العقيدة، فمن أين تتلقى العقيدة.

وهذا التحديد من أهم ما يكون؛ لأنه يعصم عن الوقوع في البدعة.

فيقول: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِوَاتَّبِعِ الْهُدَى)، هذه أول وصية، أولى الوصايا: تمسك بحبل الله.

حبل الله فسر بأنه القرآن، وفسر أيضًا بأنه الإسلام، والله ﷻ يقول: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، المراد بحبل الله هناك الإسلام، والمراد به القرآن أيضًا؛ لأن القرآن هو السبب الذي يوصل إلى رضا الله ﷻ.

قال: (وَاتَّبِعِ الْهُدَى)، بعض من شرح هذه الرسالة فسر حبل الله بالقرآن، وفسر ابتاع الهدى بالسنة.

قال: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى)، أي تمسك بالكتاب والسنة، (وَلا تَكُ بِدْعِيًا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، لا تتبع البدع، لا تك بدعيًا.

والبدعة: هي كل ما يظن أنه يقرب إلى الله ﷻ، ولا يكون عليه دليل، والبدعة دائمًا تخالف السنة.

وكأن النبي ﷺ يعرف بالبدعة في قوله، هو قريب من التعريف قول النبي ﷺ، حديث عائشة رضي الله عنها مخرج في الصحيحين الذي هو مضمونه، سبحان الله سأتذكر إن شاء الله.

والبدعة هي تقابل السنة، والسنة هي سواءً كان في العقائد، وسوءً كانت في العبادات هي فيها التزام بالدليل، أما البدعة: فكل ما يعتقد أنه يقرب إلى الله ﷻ، ولا يكون عليه دليل.

وبذلك من لم يتمسك بحبل الله ﷻ، ومن لم يتبع الهدى، فحتمًا سيقع في البدعة، وهذا هو واقع الفرق عمومًا؛ لأن الفرق مختلفة، لما لم يحددوا مصدر التلقي، وبدأوا يأخذون من الفلسفة والمنطق، وبدأوا يأخذون أيضًا من الوساوس التي سموها ذوقًا، يعني تفرقت بهم السبل.

أما أهل السنة والجماعة فأول ما يميزهم عن غيرهم أنهم يتمسكون بحبل الله، وسنة رسول الله ﷺ.

وبعضم فسر حبل الله بالقرآن، أو الإسلام، واتباع الهدى فسره بالعموم، ولم يخصه باتباع السنة.

قال: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ)، أي تمسك بالإسلام، أو تمسك بالقرآن، وهذا التمسك هو الذي ينجي من الهلاك، (وَاتَّبِعِ الْهُدَى)، اتباع الهدى هو السبيل المستقيم، والطريق المستقيم، هذا يوصل إلى النجاح.

التسمك بحبل الله فيه نجاةٌ من الهلاك، واتباع الهدى فيه إيصالٌ إلى المقصود، وهو التزام الطريق المستقيم عمومًا.

أيضًا: (وَلَا تَكُ بِدْعِيًا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، يستقيم أيضًا على هذا المعنى، وكلا المعنين صحيح.

وعلى المعنى الثاني: الفرق بين التمسك بحبل الله، واتباع الهدى هما لفظان متقاربان، التمسك بحبل الله يتضمن إتباع الهدى، وإتباع الهدى يتضمن التمسك بحبل الله؛ لأن من تمسك بحبل الله هو الذي يتبع الهدى، ومن اتبع الهدى هو من تمسك بحبل الله، فهناك تلازم بين التمسك بحبل، وابتاع الهدى.

لا يمكن أن يتبع الهدى بدون التمسك بحبل الله، ولا يمكن أيضًا أن يكون شخصًا متسمك بحبل الله، ولا يكون متبعًا للهدى.

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

قوله: (وَدِنْ): معناها واعتقد، دان يدين دينًا، معناها الاعتقاد، (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ)، أي اعتقد ما جاء في القرآن، (وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ)، السنن هي جمع سنة، والمراد بالسنن هنا الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ.

وقوله: (أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ)، هذا تقيد فيه بيان أن السنن التي يجب إتباعها هي السنن التي ثبتت عن النبي ﷺ.

فهذا القيد مهم لمن أراد أن يتبع سنن النبي ﷺ، (وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ)، أي ثبتت عن رسول الله، فإذا صحت سواءً كانت متواترة، سواءً كانت عن طريق الأحاد فهي حجةٌ، وعمدة في أمور الدين كلها سواءً كانت في العقيدة، أو في المعضلات، أو في الاعتقادات، أو في السلوكيات، في أي بابٍ كان.

وهذا الذي ذكره الإمام هنا، هذا أيضًا مما يميز أهل السنة والجماعة.

أهل السنة شرفوا بهذا اللقب، أهل السنة والجماعة، هذا اللقب الشريف استحقوه لأنهم هم أهل السنة، أي أخص الناس بالسنة روايةٍ، ودرايةٍ، واهتمامًا بالسنة، وهم الذين اهتموا بالسنة جمعًا، ودراسةً، ومدارسةً، وشرحًا، فهم أولى الناس بالسنة، وأولى الناس تمسكًا بها، وهم متمسكون بالسنة دائمًا، ومتمسكون بالقرآن دائمًا، وهذا الذي يميزهم، كلما طلبوا عن دليل فدليلهم في الكتاب والسنة.

أما غيرهم فقد يكون دليله العقل، وقد يكون دليله الذوق كما هو حال الصوفية، وغيرهم.

فهذه الوصية: (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ)، ذكر الإمام أن التمسك بهذه الوصية فيها فائدتان:

الفائدة الأولى: تنجو: يعني تنجوا من الهلاك.

لم يذكر هنا تنجوا من أي شيء، لم يذكر مثلاً تنجوا من البدعة، لم يذكر تنجوا من الكفر، لم يذكر تنجوا من الضلال، قال: (تَنْجُو)، لم يذكر من أي شيء تنجوا؛ لأنه يشير إلى أن النجاة ستكون من كل شرٍ، وبلاء في الدنيا والآخرة، تنجو من أي شيء يضلك.

الفائدة الثانية: وتفلح، وفي بعض النسخ وتربح.

يقول: لن يقتصر الأمر على النجاة، بل زيادةً على النجاة ستربح أيضًا، النجاة هذه رأس المعادلة، وفوق النجاة أرباح متعددة، وهذه الأرباح بحسب قوة الاعتصام بالكتاب والسنة، أرباح في الدنيا، وأرباح في الآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨].

ويقول سبحانه أيضًا: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه ألا يضل في الآخرة، ولا يشقى في الآخرة.

إذًا يذكر الإمام ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن التمسك بالكتاب والسنة به ينجوا المرء من كل شيء، من كل ما يُكدر، ومن كل ما فيه الضلال، ومن كل ما فيه الهلاك، وأيضًا به يحصل على كل فائدةٍ في الآخرة.

هاتان البيتان تعتبران مقدمة لهذه الرسالة، والحقيقة هاتان البيتان مقدمة لكل كتابٍ في العقيدة، بل لك كتابٍ في الدين، أي كتاب في الدين، الوصية التي تكون في البداية أن نلتزم بكتاب الله ﷻ، وبسنة النبي ﷺ؛ لأن الأمر يتعلق بالدين، أمر الله لا يتعلق بالتجربة، أمر الله لا يتعلق باتباع فلان وعلان، الأمر يتعلق بالدين، فلابد أن يُتمسك بالكتاب والسنة في الدين عمومًا، وفي السنة خصوصًا؛ لأن الأعمال التي لا تكون مبنيةً على عقيدةٍ صحيحة، فلا يعتد بها شرعًا.

إذًا هاتان البيتان تصلحان أن تكون مقدمةً للجميع الكتب التي تؤلف في أي شعبة من شعب الدين.

بعد البيتين بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدخل في التفاصيل، أول موضوع ذكره: موضوع يتعلق بصفة الكلام.

طبعًا كنا نتوقع أن هناك مقدمات، ممهدات أخرى قبل أن يدخل في موضوع الصفات، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ مباشرة بصفة الكلام، ولعل ما صوب هذا الترتيب أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر الإتباع، إتباع الكتاب والسنة

أردف ذلك ببعض الأمور التي يجب اعتقادها في الكتاب؛ لأن كثيرًا من أهل البدع، أو بعض أهل البدع يزعمون أيضًا أنهم يتمسكون بالقرآن، ولكنهم لما يسئلون عن القرآن تضطرب أقوالهم في القرآن.

فبعضهم يظن أن هذا القرآن الذي نتلوه، وهذا القرآن المنزل هو مخلوق، هكذا يصرح.

وبعضهم يعتبره لا مخلوقًا، ولا غير مخلوقًا، يكون كلامه غير واضح كما هو عند الأشاعرة، مع أنهم يكادون يصرحون بأنه مخلوقون، إلا أن تعبيراتهم ليست واضحة مثل تعبيرات المعتزلة.

فهم يدعون أنهم يتمسكون بالقرآن، ولكن اعتقادهم في القرآن فيه بدع، ولذلك أول ما بدأ الإمام ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد توصيته بالتمسك بالكتاب، والسنة بدأ ببعض الأمور التي يجب اعتقادها في القرآن.

وَقُــــلْ: غَيْــــرُ مَخْلُــــوقٍ كَلَــــامُ مَلِيكِنَــــا ... بِــــذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَــــاءُ وَأَفْصَــــحُوا

قوله: (وَقُلْ)، الخطاب هذا لصاحب السنة، كأنه يقول: أيها السني قل هذا، واعتقد هكذا، (غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا)، الملك هذا من أسماء الله ﷻ.

قوله: (بِذَلِكَ)، أي بعدم كون القرآن مخلوقًا، الإشارة هنا إلى كون القرآن غير مخلوق، كلام الله ﷻ الذي هو القرآن، يعتقد أن القرآن غير مخلوق، (بِذَلِكَ دَانَ)، أي اعتقد، (الْأَتْقِيَاءُ)، الذين عندهم تقى، (وَأَفْصَحُوا)، وبينوا، بذلك اعتقدوا، وبذلك أيضًا وضحوا، وبينوا، ولم يتوقفوا في شيء من ذلك.

هنا في هذا البيت فيه بيان أمرين يتعلقان بصفة الكلام، وأرجوا التنبه جيدًا؛ لأن بعض هذه المسائل متعلقة ببعض، هناك تسلسل يجب أن نلاحظها في هذه الأفكار، وإلا قد نفهم شيئًا، ولا نفهم شيئًا.

هنا في قول الإمام أبي دواد: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا)، فيه أمران، وكلا الأمرين يتعلقان بصفة الكلام:

الأمر الأول: أن الكلام صفةٌ لله ﷻ، فالقرآن كلام الله ﷻ، وليس كلام أحدٍ من المخلوقين.

وهذه الإضافة، يعني كلام الله، الكلام: مضاف، والله: مضاف إليه، وهذه الإضافة إضافة الصفة إلى الموصوف.

وكل ما يضاف إلي الله ﷻ فهو على نوعين:

النوع الأول: ما يضاف إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

مثلاً: سمع الله ﷻ، قدرة الله ﷻ، علم الله ﷻ، كلام الله ﷻ.

كل هذه الإضافات، هذه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كما يضيف أحدنا أوصافه إلى نفسه، مثلاً يقول: كلامي، علمي، قدرتي، بصري، هكذا.

هذه إضافة من باب إضافة الصفة من الموصوف، وضابط هذا النوع: ما إذا كان المضاف وصفًا لا يكون إلا بموصوف.

نحن نعرف أن العلم لا يكون إلا بعالم، الكلام لا يكون إلا بالمتكلم، والقدرة لا تكون بصاحب القدرة القدير، وهكذا.

وهذه صفات ليست ذوات حتى تقوم بذواتها، بل هي صفات تقوم بغيرها، وهذه أيضًا تسمى معاني.

إذا كان المضاف إلى الله ﷻ معنى لا يقوم بنفسه، تكون الإضافة من باب إضافة الصفة للموصوف، مثل ما هو هنا: كلام الله.

كلام الله: أي صفةٌ قائمة بالله ﷻ، هو متكلمٌ بها.

والنوع الثاني من الإضافات: إضافة المخلوق إلى الخالق.

مثل: عبد الله، وأمة الله، وناقة الله، بيت الله.

وضابط هذا النوع: ما إذا كان المضاف عينًا قائمًا بنفسه.

مثلاً: بيت الله، هذا عينٌ قائمة بنفسها، عبد الله، أمة الله، ناقة الله، هذه كلها ذواتٌ قائمةٌ بأنفسها، إضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

وهذه المسألة ضل فيها طائفتان:

الطائفة الأولى: هم المعتزلة، المعتزلة يرون أن الإضافات كلها إضافة خلق، وإيجاد.

مثلاً هم يقولون: نحن لما نقول كلام الله، يقولون: هذه إضافة الخلق للخالق، ولذلك يقولون: القرآن مخلوق.

يقولون: كلام الله، وبيت الله هذا من نوع واحد، هؤلاء هم المعتزلة.

وهناك طائفة أخرى: وهم الصوفية يجعلون كلا نوعين يجعلونه من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وبذلك يتوصلوا إلى القول بالحلول، ووحدة الوجود، تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرا.

الخلاصة: أن إضافة الكلام إلى الله ﷻ إضافة الصفة إلى الموصوف، الكلام صفة من صفات الله ﷻ، وليس مخلوقًا لله ﷻ؛ لأنه من أوصافه.

وهناك فرق بين إضافة المخلوق إليه، وبين إضافة الصفة إلى الموصوف، وهو الله ﷻ.

إذًا: (كَلَامُ مَلِيكِنَا)، هذا كلام الله ﷻ، وليس مخلوقًا.

هذا الأمر الأول: الكلام صفة لله ﷻ.

الأمر الثاني قوله: (غَيْرُ مَخْلُوقِ)، معناه أن الكلام صفة لله ﷻ، وليس ذاتًا قائمة بنفسها.

وهذه المسألة: كون القرآن مخلوقًا، وغير مخلوق، هذه المسألة فرق عن مسألةٍ أخرى.

أنا أعيد وأكرر أرجوا التنبه جيدًا حتى نستفيد.

هذه المسألة: مسألة القرآن مخلوق، أو غير مخلوق، هذه المسألة فرع عن مسألة أخرى: وهي مسألة الكلام، وهي فرع عن مسألة أخرى: وهي مسألة الصفات عمومًا.

كما نعرف أن أهل السنة والجماعة يثبتون جميع الصفات التي يثبتها الله ﷻ لنفسه، وليس عندهم أي إشكال في إثبات أي صفةٍ أثبتها الله ﷻ لنفسه، سوءًا كانت هذه الصفة ذاتية، أو فعليه، أو خبرية، أو عقلية، ليس هناك إشكال في إثبات كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه.

ولذلك هم يثبتون كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وهذا هو الأصل الذي ينطلقون منه في توحيد الأسماء والصفات، توحيد الأسماء والصفات فيه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات كل ما أثبته الله ﷻ لنفسه.

الأمر الثاني: نفي كل ما نفاه الله ﷻ عن نفسه، مع إثبات كمال الضد المنفي.

مثلاً: الله ﷻ نفى عنه نفسه الموت، وضده الحياة، لما ننفي الموت عن الله ﷻ، نثبت له كمال الحياة، ونثبت كل ما أثبته، وننفي كل ما نفاه.

أما ما لم يرد نفيه في الكتاب والسنة فنتوقف فيه.

هناك قاعدة تتعلق بهذه الجزئية، هذه القاعدة تتلخص في: التوقف في اللفظ، والاستفسار في المعنى.

إذًا: توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة مبنيٌ على الإثبات، والنفي، والتوقف.

أما أهل البدع الذين يخالفون أهل السنة والجماعة، وهم المعطلة.

المعطلة أصناف: بعضهم ينفون الأسماء والصفات، لا يثبتون لله ﷻ لا إسمًا ولا صفة، وهؤلاء هم الجهمية.

يليهم المعتزلة، المعتزلة يثبتون لله ﷻ الأسماء، ولا يثبتون الصفات.

يليهم الأشاعرة، والماتريدية الذين يثبتون بعض الصفات، ولا يثبتون بعض الصفات.

وقد علمنا أن هؤلاء يشملهم مصطلح المعطلة، والمعطلة قسمان: بعضهم عنده تعطيل كلي، وبعضهم عنده تعطيل جزئي.

لما جاء المعطلة، وخاصةً الجهمية والمعتزلة قالوا: لا نثبت لله ﷻ الصفات.

الجهمية، والمعتزلة يجتمعون على عدم إثبات الصفات لله ﷻ، لا يثبتون أي صفة.

لما نفوا صفات الله، و عطلوها قيل لهم: إذا هذا القرآن من كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ من صفاته، ماذا تقولون فيه؟

قالوا: القرآن مخلوق، هو مخلوق من المخلوقات مثل كما نقول: بيت الله، وعبد الله، وناقة الله، وهذه المخلوقات، كذلك كلام الله مخلوقٌ من المخلوقات، ليست صفةً قائمةً به؛ لأنه لا يثبتون أي صفة، وبذلك اشتهرت هذه المسألة.

بعض الناس يظنون أن البحث في كون القرآن مخلوقًا، أو غير مخلوق هذا بحث فريد.

أقول هذه المسألة تتعلق بمسألتين: صفة الكلام، والحديث فيها يتعلق بمسألة الصفات عمومًا.

إذًا من يقول: القرآن مخلوق هو الذي ينفي صفة الكلام، بل هو ينفي جميع الصفات، لا يثبت لله ﷻ جميع الصفات، وهذا هو مذهب الجهمية، والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، لماذا القرآن مخلوق؟

لأن الله ﷻ لا يوصف بأي صفة، لماذا قالوا: لا يوصف بأي صفة؟

الأمر طويل، نحن نلخص هنا الأمور التي نفهم بها النظم.

قالوا: لا نثبت أن القرآن صفة لله ﷻ، القرآن من كلامه، وكلامه صفة له، والصفات يقولون: لا نثبتها لله ﷻ، بما أننا لا نثبت الصفات نعتقد أن القرآن مخلوق، هكذا يقول الجهمية، والمعتزلة.

يقول المؤلف هنا: (وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا)، إذًا هو يشير إلى المسألة بعمومها، ويشير إلى المسألة الجزئية التي هي عنوان للمسألة العامة: القرآن غير مخلوق.

قوله: (بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا)، الأتقياء الذين يتقون الله ﷻ، ولم يقعوا في البدع، كلهم بذلك يعتقدون.

دان: أي اعتقد، (بِذَلِكَ)، أي بقول: القرآن غير مخلوق، يعتقده جميع الأتقياء، (وَأَفْصَحُوا)، أي وبينوا، لم يترددوا في معاني هذه المسألة المهمة.

وَلَا تَقْلُ فِي الْقُرآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

(وَأَسْجَحُوا)، أي مالوا، السجح هو الميل.

يقول كن واضحًا في هذه المسألة، مسألة: القرآن مخلوق، أو غير مخلوق، كن واضحًا جدًا في هذه المسألة، (وَلَا تَقْلُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا)، لا تكن من الذين يقولون بالوقف في القرآن، (كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا)، هناك فرقة يوافقون الجهمية في قول القرآن مخلوقًا، ولكنهم لا يصرحون بهذه البدعة، يقولون: نحن نتوقف في هذه المسألة، لا نقول القرآن مخلوق، ولا نقول القرآن غير مخلوق، وبذلك يظهرون الورع، ويظهرون الاحتياط مع أنهم جهمية كما يقول المؤلف: (كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا)، بعض أتباع الجهمية صريحين في أن القرآن مخلوق، وبعض أتباع الجهمية يظهرون التوقف مع أنهم أتباعٌ لجهم، لماذا؟

لأن من وقف في القرآن أنه من كلام الله ﷻ، وأنه صفة من صفات الله ﷻ، من توقف في ذلك فهو جهمي؛ لأن السني لا يتوقف في هذه المسألة؛ لأن كون القرآن كلام الله ﷻ، هذا أوضح ما يكون، القرآن كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ صفة من صفاته.

إذًا يقول: (وَلَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا)، أي ومالوا إلى هذا الاعتقاد.

غرض المؤلف هنا أن نكون واضحين في هذه المسألة، لا نتردد في الرد على المبتدعة في هذه المسألة، ولا نتردد في الإفصاح بأن القرآن غير مخلوق.

وَلَا تَقُلِ: الْقُرْآنُ خَلْقٌ قِرَاءَتُهُ   فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

هنا يشير المؤلف إلى مسألة أخرى، وهذه المسألة أيضًا تابعة لمسألة خلق القرآن.

وفي الحقيقة أن بعض المعطلة، وبعض المبتدعة وافقوا الجهمية في أصل المسألة، ولكنهم لم يتجرؤوا بالإفصاح بما يعتقدون، منهم الواقفة كما أشار إليهم ابن أبي داود في قوله: (وَلَا تَقُلْ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا)، هؤلاء هم الواقفة، يقولون: نحن نتوقف في هذه المسألة، لا نقول القرآن مخلوق، ولا نقول القرآن غير مخلوق.

طبعًا إذا قلت أنا أتوقف، معناه أنك متأثرٍ بقول جهم، ولذلك لم يرتدد المؤلف في نسبتهم إلى جهم.

يشير إلى مسألة أخرى، وهي أيضًا تتعلق بهذه المسألة، وهي أيضًا نابعة من إظهار الورع، و اللبس، أو التلبيس في هذه المسألة.

بعض الكلابية الذين هم كانوا يوافقون المعتزلة في القول بالقرآن مخلوقًا، ولكنهم كانوا يظهرون إتباع السنة في المسألة، مثلاً: يقولون لأهل الحديث، ولأهل السنة يقولون: نحن معكم، ونحن نرد على المعتزلة، مع أنهم يوافقون المعتزلة في قول القرآن مخلوق.

بما أنهم لا يمكنهم أن يقولوا القرآن مخلوق، لجئوا إلى أساليب أخرى:

من هذه الأساليب: أنهم كانوا يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، قراءتي للقرآن مخلوقة، هكذا كانوا يقولون، (وَلَا تَقُلِ: الْقُرْآنُ خَلْقٌ قِرَاءَتُهُ)، أي لا تقل لفظي، وقراءتي للقرآن مخلوقة، (خَلْقٌ)، أي مخلوقٌ، لا تقل قراءتي للقرآن مخلوقة، هذا معنى لفظي.

طبعًا القراءة، وهذه الألفاظ هي مصادر، ولها معنيان:

المعنى الأول: المعنى المصدري، مثلاً: لفظي بالقرآن مخلوق، قراءتي بالقرآن مخلوق، القراءة: وهي مثلاً قراءتي، الآن أنا أقرأ، وهذه قراءتي، وهذه القراءة فعلٌ لي أنا، أنا لما أقرأ وأقول: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١:٤]، هذه قراءتي أنا، والمقروء هو القرآن.

قراءتي التي هي بصوتٍ، وبتحريكٍ للفم هذه مخلوقة؛ لأنها فعلٌ لي، أما المقروءة فهو القرآن.

وهنا لابد أن نتبه أن هناك شيئان:

١ـ قراءة: وهي فعل للقارئ.

٢ـ المقروء: وهو القرآن.

هؤلاء الكلابية الذين ينتسبون إلى يزيد بن كلاب كانوا يعتقدون بأن القرآن مخلوق؛ لأنهم كانوا يقولون: بأن الكلام في الحقيقة هو كلام نفسي، وهو في نفس الله ﷻ، أما هذا القرآن فهو عبارة عن كلام الله ﷻ، فهم ما كانوا يعتقدون أن هذا القرآن كلام الله ﷻ حقيقةً، بل كانوا يوافقون المعتزلة في كونه مخلوقًا، ومع ذلك كانوا ينتسبون إلى السنة، فلجئوا إلى هذا الأسلوب، كانوا يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، أو قراءتي لقرآن مخلوقة.

القراءة كما قلت: مصدر، والمصدر لهما نوعان:

١ـ القراءة: المعنى الفعلي الذي هو الفعل.

٢ـ يأتي أيضًا بمعنى المفعول.

القراءة يأتي بالمعنى المقروء، ويأتي بمعنى القراءة، إذا قال بالمعنى المصدري فهذا صحيح، قراءتي للقرآن مخلوق، أنا لما أقرأ القرآن، فهذا صوتي، وقراءتي، وفعلي، وحركتي، وهذا كله مخلوق، أما المقروء فهو قرآن ليس مخلوقًا.

هو يريد أن يلبس في اللفظ، ويتوصل بذلك إلى القول بأن القرآن مخلوق.

إذا كانت القراءة بالمعنى المصدري كانت صحيحة، إذا كانت القراءة بمعنى المقروء فكأنه يقول: قراءتي بالقرآن مخلوق، أي بالذي قرأته، ومقروء مخلوق.

بما أن هناك لبس، وهناك معينان، لذلك الإمام أحمد: اللفظية هم جهمية، سماهم لفظية الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأن اللفظ يأتي بمعنى التلفظ: وهو عمل الإنسان، ويأتي بمعنى الملفوظ: وهو القرآن.

هذا لما يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، هو يقصد الملفوظ هو القرآن، ولكنه لما يسئل، ويقال: هل تعتقد في القرآن أنه مخلوق؟

يقول: لا، أنا أقول اللفظ مخلوق، واللفظ هو التلفظ، وبذلك يلجأ إلى التلبيس في هذه المسألة، ولهذا سدًا للباب أهل السنة، وخاصةً أئمتهم، الإمام أحمد وغيره هم قالوا: اللفظية جهمية، من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق هذا جهمي، لماذا؟

لأنه لم يلجأ إلى هذا الأسلوب، إلا لأن اعتقاده ليس واضحًا في القرآن، يريد أن يقول القرآن مخلوق، ولجأ إلى هذا الأسلوب، الذي ليس فيه بيان، ووضوح.

ولذلك ذكر ابن أبي داود هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعني ركز على هذه المسألة وقال: (وَلَا تَقُلِ: الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ)، أي لا تقل قراءتي للقرآن مخلوقة، خلق بمعنى مخلوق هنا، (فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ)، يقول: كلام الله ﷻ فيه شيئان:

١ـ لفظًا.

٢ـ معنى.

كلام الله ﷻ لفظًا، ومعنى، المعنى يوضح باللفظ، وهذا فيه رد على الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية الذين يقولون: كلام الله ﷻ هو كلامٌ نفسي، وهو المعنى فقط، أما اللفظ الذي هو القرآن، هذه الألفاظ يقولون: هذه الألفاظ عبارة عن كلام الله ﷻ، وليست.

أحمد الله، وأصلي على الرسول الكريم، ثم أما بعد:

كنا قد بدأنا في المنظومة الحائية، للإمام أبي بكر بن أبي داود السجستاني، الإمام الحافظ، وابن الحافظ، وذكرنا أن هذه المنظومة من أوائل المنظومات التي كتبت في العقيدة.

بعد أن تحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صفة الكلام، وأشار إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما أنه أشار إلى مذهب المخالفين عمومًا، والجهمية خصوصًا، يتابع رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر المسائل الأخرى في العقيدة.

يقول:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

هذه الأبيات الأربعة كلها تتعلق برؤية الله عَجَّلَ، ورؤية الله عَجَّلَ يوم القيامة هذه ثابتةٌ دل عليها الكتاب، والسنة المتواترة، وقد حصل عليها إجماع المسلمين.

ولا ينكر المؤمنين لله عَجَّلَ يوم القيامة، إلا الجهمية، ومن تأثر بهم.

وقد قال بعض السلف: من أنكر رؤية الله فحريٌ أن يحرم منها.

هذه المسألة من أهم مسائل العقيدة، النعم التي ينتظرها المؤمن يوم القيامة كثيرةٌ جدًا، لا حساب لها، وأعظمها رؤية رب العالمين.

ولذلك يقول الله عَجَّلَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الحسنى: هي الجنة، وزيادة: هي رؤية رب العالمين.

قوله: (قُلْ)، الخطاب هنا لصاحب السنة، أو للسني.

يقول: (قُلْ)، غير مترددٍ، ولا شاك، (يَتَجَلَّى اللهُ)، أي يظهر، (لِلْخَلْقِ)، المراد بالخلق هنا هم المؤمنون، هكذا أتوقع مع أن المؤلف عمم هذه اللفظة، طبعًا إذا كان المراد بالخلق هم عموم الخلق، المسألة فيها خلاف، هناك خلاف في رؤية المنافقين لله عَجَّلَ، ورؤية الكفار لله عَجَّلَ.

أجمع المسلمون، وخاصةً أهل السنة والجماعة على أن الله ﷻ يراه المؤمن، هذه المسألة هي التي نتحدث عنها.

أما رؤية المنافقين، المنافقون أيضًا يرونه في عرصات القيامة، رؤيته لا تكون رؤية تلذذٍ، وتنعم بل تكون رؤية عذاب؛ لأنهم يتأسفون بعد ما يحاسبون على النعمة التي كانت تنتظرهم لهم لم يكونوا منافقين، هذا بالنسبة للمنافقين، المنافقون الراجح أنهم يرون الله ﷻ في عرصات القيامة، أما الكفار فالراجح أنهم لا يرونه، لا في عرصات القيامة، ثم بعدها هم لن يدخلوا الجنة حتى يروه في الجنة.

إذًا تعميم المؤلف هنا في قوله: (وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ)، أتوقع أن يكون مراده بالخلق هم المعرفون المقصودون هنا، وهم المؤمنون وإن كان أراد العموم، فهذا يكون نفيه، والخلاف في هذا معروف، ورؤية الكفار في عرصات القيامة كما قلت: الراجح أنهم لا يرونه، أما المنافقون فيرونه، أما الجنة فالكفار، والمنافقون بما أنهم لا يدخلون الجنة فهم محرومون عن رؤية الله ﷻ، يقول الله ﷻ عن الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥].

وقوله: (جَهْرَةً)، أي عيانًا، لا يكون بينهم، وبين الله ما يحجبهم عنه.

ثم قال: (كَمَا الْبَدْرُ لا يَخْفَى)، البدر هو ليلة القمر ليلة الرابع عشر عندما يمتلأ نورًا.

يقول: يرى الله ﷻ كما يرى البدر ليلة الرابع عشر، هذا التشبيه هو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون القمر ليلة البدر»، هنا تشبيه هو تشبيه الرؤية بالرؤية؛ لأن رؤية القمر ليلة الرابع عشر، الرؤية من أوضح ما تكون، فلذلك ذكر في الأحاديث في رواية يقول النبي ﷺ: «لا تضارون في رؤيته»، أي لا يلحقكم ضررٌ في رؤية الله ﷻ، مثل ما يكون في رؤية الأشياء في الدنيا بسبب الزحمة، وبسب المدافعة قد يلحق أحدٌ ضرر، وفي رواية: «لا تضامون»، من الضم، أي لن تحتاجوا إلى المدافعة حتى تروه.

وهذا التشبيه هو تشبيه الرؤية بالروية، أي رؤية الله ﷻ ستكون واضحة جدًا، لا يلحقكم فيها أي تشويشٍ، وأي ضرر.

إذًا كلام المؤلف هنا مأخوذٌ من نص الحديث، (كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى)، كما أن البدر ليلة الرابع عشر لا يخفى، كذلك تكون رؤية الله ﷻ، رؤية المؤمنين لله ﷻ.

قوله: (وَرَبُّكَ أَوْضَحُ)، أي القمر مخلوق من مخلوقات الله ﷻ، ومع ذلك تكون رؤيته واضحة، أما الرب سبحانه، رب الخلائق، ربنا فهو أوضح، أي أكثر نورًا، ووضوحًا.

الخلاصة: أن رؤية المؤمنين لله ﷻ ستكون بهذا الوضوح.

وَلَـيْسَ بِمَوْلُـودٍ وَلَـيْسَ بِوَالِـدِ وَلَـيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى الْمُسَـبَّحُ

هذه البيت كله مأخوذٌ من سورة الإخلاص، لأن الله ﷻ يقول في سورة الإخلاص يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١:٤].

الكفو: هو المكافئ المسامي الشبيه.

يقوله: (وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ)، الله ﷻ ليس مولودًا حتى يكون له والد، حتى يكون من جنس المخلوقين، (وَلَيْسَ بِوَالِدِ)، أي ليس بمن له أصل، وليس له فرع، أي ليس مثل المخلوقين الذين يتوالدون، الذين لهم أصول، ولهم فروع، (وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ)، أي ليس له نظير، ومثل، ومماثل، وكفء، (تَعَالَى)، تعالى الله ﷻ، تعاظم وله العلو المطلق، (الْمُسَبَّحُ)، أي المنزه من كل عيب.

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا لخص ما رود في هذه السورة، ليس بمولود، ليس له شبهٌ، وليس له كفوًا أحد، ولذلك لو عبر المؤلف بقوله: ليس له كفؤٌ كان أحسن، حتى الوزن لا يكون فيه خلل، وكان موافقًا لما جاء هذه السورة.

أما نفيه التشبيه، فنحن نفي التشبيه، نفي أن يكون الله ﷻ شبيهًا بمخلوقاته، أو أن تكون صفاته مثل صفات المخلوقين، أو أن تكون صفات المخلوقين مثل صفات الله ﷻ، نحن بنفي هذا، وتشبيه كفر، ولكن المتكلمين يستعملون هذه اللفظة كثيرًا، كلمة التشبيه، ويسلطون النفي على كثيرٍ من صفات الله ﷻ بحجة أنها تستلزم التشبيه، ولذلك التعبير الأمثل، التعبير الذي ليس فيه خلل: تعبير المثل عن الله ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وكذلك نفي الكفء كما في هذه السورة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

ثم قال: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا)، هذا راجعٌ إلا البيت الأول، (وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً)، الإشارة إلى البيت الأول.

يقول: (وَقَدْ)، قد يأتي للتحقيق، وقد يأتي للتقريب، وهنا للتحقيق.

قوله: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا)، أي رؤية المؤمنين لله ﷻ، (وَعِنْدَنَا)، أي عند أهل السنة والجماعة، (بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا)، أي لإثبات ما قلنا، لإثبات ما ذكرناه، (حَدِيثٌ مُصَرِّحُ)، هناك أحاديث كثيرة.

أحاديث الرؤية ذكر كثيرٌ من أهل العلم أنها متواترة، ولكن المؤلف بما أن النظم مختصر، يعني من الصعب أن يشير إلى أحاديث كثيرة، ولذلك اكتفى بالإشارة إلى حديثٍ واحد، وهو كما يقول: (رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ).

يقول: (وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا)، عندنا بإثبات ما ذكرناه وهو إثبات الرؤية، رؤية المؤمنين لله ﷻ، (حَدِيثٌ مُصَرِّحُ)، أي حديثٌ يصرح بالرؤية، (رَوَاهُ جَرِيرٌ)، جرير هو جرير بن عبد الله البجلي، أحد الصحاب، (رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ)، رواه جرير عن النبي ﷺ، (عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ)، أي عن قول النبي ﷺ، (فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ)، يعني اعتقد، وقل مثل ما جاء في مثل ذلك الحديث، أو قاله النبي ﷺ في ذاك الرؤية، (تَنْجَحُ)، تفلح.

طبعًا حديث جرير أخرجه البخاري ومسلم، جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته**»، لا تضامون بتشديد الميم من الضم، أي لا تحتاجون إلى المدافعة، وفي رؤية الله ﷻ.

أيضًا: «**لا تضارون**»، من الضيم: وهو الضرر، أي لا يلحقكم ضررٌ في رؤية الله ﷻ مثل ما يكون في رؤية الأشياء في الدنيا، يكون هناك تزاحم، وتدافع فيلحق الضرر، فإن قال: «**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا**».

ذكر النبي ﷺ هنا سببًا من الأسباب التي يمكن أن يحصل المؤمن رؤية الله ﷻ، رؤية الله ﷻ هذه أجل النعم على الإطلاق، يعني حتى الجنة دونها بكثير، ولذلك سماها الله ﷻ في القرآن زيادة.

هذه النعمة تحصل بأمورٍ كثيرة أهمها ما ذكره النبي ﷺ هنا: «**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس**»، هذه صلاة الفجر، «**وصلاةٌ قبل غروبها**»، وهذه صلاة العصر، «**فافعلوا**»، أي من أسباب نيل رؤية رب العالمين المداومة على صلاتين:

١ـ صلاة الفجر.

٢ـ صلاة العصر.

طبعًا الأحاديث كثيرة، المؤلف هنا أشار إلى هذا الحديث، وهو حديث جرير، والذين رووا أحاديث الرؤية من الصحابة أكثر من أكثر من الستين، بل ذكر بعض الأئمة أن عددهم يزيد على السبعين صحابيًا، وأحاديث الرؤية كما قلت متواترة.

طبعًا سيتكرر ذكر الجهمية هنا في هذه المنظومة، والجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان.

الجهم بن صفوان كان في طبقة صغار التابعين، قلته سَلْم بن أحوز، كما أن الشيخ هو الجعد بن درهم، أيضًا قتله خالد القسري.

الجهم بن صفوان كان من ترمز، وترمز تقع الآن في جمهورية أزباكستان، وهذه المنطقة تسمى ما وراء النهر في ذلك الوقت.

الجهم بن صفوان جمع ثلاثة شرور، ووزعها كما ذكر ابن القيم على الأمة:

الشر الأول: هو التعطيل؛ لأن الجهم كان ينكر أسماء الله ﷻ كلها، وكان ينكر صفات الله ﷻ كلها، لا يثبت شيئًا من الصفات، ولا يثبت شيئًا من الأسماء، وكان ينكر أيضًا الرؤية؛ لأنه يقول: الرؤية تستلزم التشبيه.

ولذلك ذكر المؤلف هنا: (وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ)، هذه المسألة ذكرها أثناء ذكره لمسألة الرؤية؛ لأن الجهمية يقولون: رؤية الله ﷻ تستلزم أن يكون مثل المخلوقين، وإلا لا يمكن أن يرى، فذكر المؤلف هنا: أن الله ﷻ يُرى، ونفى المثل، والكفء، والشبه، نفى أن يكون له الشبه، ونظيرٌ، والمثل.

والجهم كما قلت: اعتقد ثلاثة شرور:

الشر الأول: هو التعطيل، الجهم بن صفوان كان ينكر أسماء الله ﷻ، وكان ينكر صفات الله ﷻ، لا يثبت شيئًا منها.

الشر الثاني: الجهم كان مرجئًا، كان يقول: الإيمان هو المعرفة فقط، وعلى قوله يكون الشيطان أيضًا مؤمنًا؛ لأن الشيطان لا تنقصه معرفة رب العالمين، ولذلك دائمًا ما ينادي رب العالمين: بربي؛ وهذا لأنه لا تنقصه المعرفة، وعلى قوله يكون فرعون أيضًا مؤمنًا.

على كل حال قوله في الإيمان هو أسوء قولٍ في المرجئة في الإيمان، قوله في التعطيل أيضًا أسوء مذهب ذهب إليه أحد.

الشر الثالث: الجهم كان جبريًا، كان يقول: أن أفعال الإنسان ليست له، بل هي أفعال الله ﷻ، وكل ما يفعله الإنسان سواءً كان خيرًا، أو شر فهذه أفعال الله ﷻ حقيقةُ، وتنسب إلى الإنسان مجازًا، مع كل المعاصي التي يرتكبها الإنسان عند جهم هي أفعال الله ﷻ، والإنسان عندهم هو كالريش في مهب الريح.

هذه الشرور الثلاثة جمعها جهمٌ، ولم يأتي بعد جهم أحد جمع بين هذه الشرور الثلاث، فهو إمام المعطلة، وإمام المرجئة الخلص، وإمام الجبرية الخلص.

وَقَــدْ يُنْكِــرُ الْجَهْمِــيُّ هَــذَا وَعِنْــدَنَا بِمِصْــدَاقِ مَــا قُلْنَــا حَــدِيثٌ مُصَــرِّحُ

يقول: الجهمية ينكرون رؤية الله ﷻ، وعندنا أحاديث، ولا شك أن الأحاديث كثيرة، إلا أن الحديث الذي أشار إليه المؤلف هو حديث جرير بن عبد الله البجلي المتفق عليه، أخرجه الشيخان.

وَقَــدْ يُنْكِــرُ الْجَهْمِــيُّ أَيْضًــا يَمِينَــهُ وَكِلْتَــا يَدَيْــهِ بِالْفَوَاضِــلِ تَنْضَــحُ

يقول الجهمي أيضًا يمين الله ﷻ، أي يد الله ﷻ.

الجهم بن صفوان هو إمام الجهمية، وهنا المؤلف تعبيره الجهمي، والجهمي كل من ينسب إلى الجهم، يدخل فيه جهم، وكل من انتسب إليه.

يقول: (**وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا**)، الجهمية ينكرون أيضًا يد الله ﷻ، ويدي الله ﷻ، ويمين الله ﷻ مع أن كلتا، (**بِالْفَوَاضِلِ**)، أي بالإحسان، (**تَنْفَحُ**)، أي ملأً بالإحسان، والمنن.

يقول: الجهمية ينكرون أيضًا يد الله ﷻ، يعطلون اليد أيضًا، وكما قلت: الجهمية ينكرون جميع صفات الله ﷻ، لا يقتصر إنكارهم للرؤية، ولليدين.

قوله: (**يَمِينَهُ**)، يمين الله ﷻ، من هنا نذكر نبذة عن صفة الجهمية، والمصيبة التي هم وقوعوا فيها.

طبعًا الجهمية، وغيرهم من الفرق، المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية هؤلاء كلهم معطلة، وهم يتفاوتون في التعطيل، أكثرهم تعطيلاً هم الجهمية، ينكرون الأسماء، وينكرون الصفات أيضًا، يليهم المعتزلة ينكرون الصفات، ويثبتون الأسماء، يليهم الأشاعرة، والماتريدية يثبتون أسماء الله ﷻ كلها، ويثبتون بعض صفات الله ﷻ، وهي السبع صفات، بالنسبة للأشاعرة يثبتون سبع صفات، والماتريدية يثبتون ثماني صفات، يزيدون صفة التكوين.

الواحد يستغرب لماذا ينكر المعطلة، لماذا ينكرون أسماء الله ﷻ، وصفاته؟ وما الذي جناه من وراء هذا الإنكار؟

ما الذي كانوا يقصدون؟ هل لا يؤمنون بالله ﷻ، وبكتابه، وبرسوله، وبالأحاديث الصحيحة؟ ما الذي حصل لهم؟

طبعًا الذي حصل لهم هي وساوس تمكنت منهم، وشبه تحكمت فيهم فقالوا بمقتضاها.

قالوا، بالنسبة للجهمية، قالوا: إثبات أي اسمٍ، وإثبات أي صفةٍ لله ﷻ يستلزم التشبيه.

المعتزلة قالوا: إثبات الأسماء ليس فيه تشبيه، وإنما إثبات الصفات يستلزم منه التشبيه.

الأشاعرة قالوا: لا إثبات الأسماء ليس فيه أي تشبيه، وإثبات بعض الصفات أيضًا ليس فيه تشبيه، أما بقية الصفات فلا نثبتها.

هذا ملخص ما ذكره هؤلاء المعطلة عمومًا، وهم كما قلت على درجات.

والجواب: أن الله ﷻ ما دام أنه أثبت لنفسه هذه الصفات، ورسوله ﷺ أثبت هذه الصفات، والأسماء لله ﷻ فليس هناك أي تشبيه، وجميع الصفات تتخصص، وتتقيد بالإضافة.

مثلاً: اليد لما تنسب إلى الباب، يد الباب يكون لها معنى، يد البعير، هنا لها معنى، يد الإنسان، هنا لها معنى، يد الله ﷻ يكون لها معنى، يفهم هذا المعنى بالإضافة، ما دام أضيفت اليد إلى الله ﷻ فلها معنىً تليق بالله ﷻ، وبكماله، وبجلاله.

أما اليد إذا أضيفت إلى الإنسان فهذا يدٌ تليق بالمخلوق، وبعجزه، وبكونه مخلوقًا، لكونه عاجزًا لا تكون يده مثل يد الله ﷻ.

هذه الشبهة التي وقع فيها المعطلة عمومًا، هذه الشبهة تافهة جدًا، لأن المعاني تتقيد، وتحدد بالإضافة، وكذلك كلام الله ﷻ، وسمع الله ﷻ، وبصر الله ﷻ، يد الله ﷻ التي وصفت، الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، هل يد المخلوقين لها هذه الصفة؟

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، هذه يد الله ﷻ، البصر، بصر المخلوق، عين المخلوق لا يرى بها، نفسنا الآن، نحن الآن إذا أردنا أن نبصر البصر نفسه الذي به نرى، ما نرى إلا بمرآة، وكذلك الإنسان لا يرى خلف ما هو الحواجز، أما بصر الله ﷻ، جميع المبصرات هي لله ﷻ لا يحدها شيء، وكذلك سمع الله ﷻ، وكذلك جميع صفات الله ﷻ.

فهذا الوهم الذي وقع في المعطلة، هذا الوهم أوقعهم في أربعة أمور كما ذكر شيخ الإسلام.

طبعًا هم لم يؤلوا، ولم يعطلوا، إلا إنهم لم يفهموا من صفات الله ﷻ، إلا تليق بالمخلوقين فقط، فقالوا مثلاً: اليد التي أثبتت لله ﷻ، هي مثل يد المخلوقين، فوقعوا في التشبيه، هذا الأمر الأول الذي وقعوا فيه.

ثم قالوا: نحن نزه الله عن مشابهة المخلوقين، فقالوا: نحن لا نثبت اليد لله ﷻ، نقول: اليد معناها النعمة، وبذلك عطلوا، أولاً وقوعوا في التشبيه، ثم عطلوا، يعني وقعوا في النفي.

ثم وقعوا في تشبيهٍ آخر: وهو تشبيه الله ﷻ بالمعدومات، أو بالجمادات.

الذي لا يبصر، ولا يسمع، ولا يفهم هذا وصف جمادات، أو وصف معدومات.

ولذلك ذكر شيخ الإسلام في التدمرية: أن هؤلاء المعطلة الذين ظنوا أنهم وقعوا في التشبيه، ثم أعادوا التنزيه وقعوا في أربعة أمور:

الأمر الأول والأخير: التشبيه.

الأمران الثاني، والثالث: التعطيل، تعطيل النص عن المعنى الصحيح، وتعطيل الله ﷻ عن الصفات.

وهذا عامٌ يعم جميع الجهمية.

وَقُـلْ: يَنْـزِلُ الْجَبَّـارُ فِـي كُـلِّ لَيْلَـةٍ ... بِلَـا كَيْـفٍ جَـلَّ الْوَاحِـدُ الْمُتَمَـدَّحُ
إِلَـى طَبَـقِ الـدُّنْيَا يَمُـنُّ بِفَضْلِـهِ ... فَتُفْـرَجُ أَبْـوَابُ السَّـمَاءِ وَتُفْـتَحُ
يَقُـولُ: أَلَـا مُسْـتَغْفِرٍ يَلْقَـى غَـافِرًا ... وَمُسْـتَمْنِحٌ خَيْـرًا وَرِزْقًـا فَيُمْـنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَـوْمٌ لَـا يُـرَدُّ حَـدِيثُهُمْ ... أَلَـا خَـابَ قَـوْمٌ كَـذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُـوا

هنا أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مسألةٍ أخرى، وهي تتعلق أيضًا بالصفات.

طبعًا صفة الكلام التي بدأ بها المؤلف هذا النوع من الصفات، واليد نوع من الصفات، والنزول من الصفات.

الصفات بالنظر إلى تعلقها بالمشيئة نوعان:

النوع الأول: الصفات الذاتية.

الصفات الذاتية: هي التي لا نفك عن ذات الله عَزَّ وَجَلَّ أزلاً، وأبدًا، ومنها: السمع، والبصر، والحياة، والكلام، وغيرها، هذه كلها الصفات ذاتية، والصفات الذاتية تنقسم إلى قسمين:

قسمٌ أول: الصفات العقلية، هكذا يسميها المتكلمون، لأن يثبتونها عن طريق العقل.

النوع الثاني: الصفات الخبرية.

الصفات الخبرية: هي التي لا تثبت، إلا بالأخبار، وهي الأحاديث، منها صفة اليد.

صفة اليد ذاتية من حيث تعلقها بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهي خبرية بالنظر إلى الدليل.

أما صفة الكلام: فهي ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار.

وهناك نوع آخر: الصفات الفعلية، أو الصفات الاختيارية، ومنها صفة النزول.

وهذه الصفات لها تعلق بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ إذا يشاء يفعلها، وإذا لا يشاء لا يفعلها، منها صفة النزول، والله عَزَّ وَجَلَّ ينزل كل ما يريد، ولا ينزل كل ما يريد، وهذه الصفات لا يمكن أن نفهم لها كيفية.

وهناك كتاب في هذه الصفة بخصوصها، كتاب لشيخ الإسلام، وقد حققه أحد مشايخنا، وهو مطبوع في مجلد.

وصفة النزول كما قلت: من الصفات الاختيارية.

وهذه الصفات منها مثلاً: الاستواء، ومنها الضحك، والسخط، والنزول، هذه كلها صفات اختيارية التي لها تعلق بمشيئة الله ﷻ.

وَقُــلْ: يَنْــزِلُ الْجَبَّــارُ فِــي كُــلِّ لَيْلَــةٍ بِلَــا كَيْــفٍ جَــلَّ الْوَاحِــدُ الْمُتَمَــدَّحُ

يقول اعتقد أن الله ﷻ ينزل في كل ليلة بلا كيف، أي بلا كيفيةٍ نعقلها.

الأئمة لما يذكرون: بلا كيف، دائمًا معناها: بلا كيفية نعلقها، ليس معناها أن صفات الله لا كيفية لها، نعم لها كيفية، ولكن لا نعقلها.

نزول الله ﷻ ليس له كيف نعقله نعلمه، (جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدَّحُ)، المتمدح: هو الذي يمدح نفسه، الله ﷻ مدح نفسه في كتابه، والله ﷻ يحب أن يُمدح.

والجبار هو اسمٌ من أسماء الله ﷻ.

وقوله: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا)، إلى سماء الدنيا، والسموات لها طباق، والسماء الدنيا هي التي أقرب إلينا، (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ)، أي يحسن بفضله.

المن: هو البذل، والعطاء.

الله ﷻ ينزل ليلقي، ويتفضل على العباد، (فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ)، أي تفرج، وتنشق، وتنفتح، والسماء لها أبواب، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف:٤٠].

إذًا المؤلف هنا ذكر أيضًا ذكر خلاصة الأحاديث الواردة في هذه الصفة.

من تلك الأحاديث حديث ابن مسعود ﵁ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام ثلث الليل الباقي ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا، ثم تفتح أبواب السماء، ثم يبسط يده فيقول: هل من سائلٍ فيعطى سؤله، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر».

طبعًا الأحاديث في النزول كثيرة، بعض الأحاديث فيها: أن الله ﷻ ينزل بعد منتصف الليل، وبعض الأحاديث أن الله ﷻ ينزل بعد ثلث الليل الآخر، وكلها صحيحة، وأصحها نزوله بعد منتصف الليل.

يقول: (يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَلْقَى غَافِرًا)، أي الله ﷻ يقول، كما في هذا الحديث، (أَلَا مُسْتَغْفِرٍ)، ألا هذه أداة تحضيض للحض، الله ﷻ يحض على الاستغفار، والإستمناح.

والمستغفر: هو الذي يطلب الوفاء.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَلْقَى غَافِرًا)، أي ألا من يستغفر يلقى غافرً، و الغافر هو الله ﷻ، هو الذي عنده الرحمة، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، (يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ)، المستمنح: هو الذي يطلب المنح، وهي العطاء، أي يسأل الله ﷻ الخير والرزق، (فَيُمْنَحُ)، أي فيمنحه الله ﷻ، ويعطيه سؤله، وخزائن الله ﷻ ملئا، لا يضرها نفقة، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيت كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص المخيط إذا غُمس في البحر»، أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال: (رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ)، أي هذه الأحاديث التي فيها نزول الله ﷻ، وفيها مناداته لعبادته، يقول: (رَوَى ذَاكَ)، أي روى تلك الأحاديث، (قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ)؛ لأنهم صحابة، وأما من روى عنهم التابعون، ومن روى عنهم هم أتباع التابعون، ومن روى عنهم هم كبار الأئمة.

فمثلاً: الإمام البخاري يروي عن شيخه أحمد، وهو يروي عن شيخه الشافعي، وهو يروي عن شيخه مالك، وهو يروي عن شيخه نافع، وهو يروي عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهكذا.

هؤلاء كلهم ثقات لا يرد حديثهم، (أَلَا)، هذه أداة استفتاح ونبينه، (أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا)، أي أولئك الذين يكذبون الصحابة، وأولئك الذين يكذبون أولئك المحدثين الثقات الأثبات خابوا، (وَقُبِّحُوا)، أي هذا الذي يستحقونه.

والناظم هنا ذكر أن الله ﷻ له هذه الصفة، صفة النزول، وذكر بعض ما ورد في الأحاديث، ثم يرد على من رد هذه الأحاديث، أو يرد على هذه الأحاديث وهم عموم المعطلة.

عموم المعطلة يردون هذه الأحاديث التي فيها إثبات الصفات الاختيارية.

أشير هنا أيضًا إلى نقطة قد تلتئم بها بعض المسائل التي تتعلق الصفات، لأن ضيق الوقت لا يجعلنا نركز على موضوع.

بالنسبة للصفات قلت، أرجوا التركيز حتى نلخص ما يتعلق بالفرق في الصفات.

ذكرت: أن المعطلة أصناف، ودرجات، ودركات، الجهمية منهم، الذين هم الجهمية الأوائل ينكرون الأسماء والصفات، لا يثبتون شيئًا من الأسماء والصفات.

يليهم المعتزلة هم يثبتون أسماء الله ﷻ، ولكن لا يثبتون الصفات.

هم يقولون: سميعٌ بلا سمع، يثبتون سمع الله ﷻ، ولكنهم يقولون: لا نثبت ما يدل على هذا الاسم من الصفات.

يقولون: سميعٌ بلا سمعٍ، وبصيرٌ بلا بصل، وحيٌ بلا حياة هكذا، المعاني التي تتضمنها أسماء الله ﷻ لا يثبتونها، ولكن يثبتون نتائجها، الصفات يثبتونها، ولكن ينكرون أحكامها.

فالمعتزلة ينكرون الصفات كلها، ويثبتون الأسماء، الطبقة الأولى الجهمية، الذين يليهم هم المعتزلة، الذين يليهم هم الأشاعرة، والماتريدية الذين هم الأكثرية الأن، أكثيرة المعطلة هم.

الأشاعرة والماتريدية يختلفون، قدماؤهم، بالنسبة للأشاعرة، قدماؤهم كانوا يثبتون الصفات العقلية، والصفات الخبرية.

مثلاً: يثبتون علو الله ﷻ، يثبتون يد الله ﷻ، يثبتون هذه الأمور، ولكنهم لا يثبتون الصفات الاختيارية، كل الصفات التي تتعلق بمشيئة الله ﷻ هذه لا يثبتونها، هذا أوائل الأشاعرة، لكن المتأخرين منهم ينفون الصفات الخبرية، والصفات الاختيارية.

الصفات الاختيارية ينفيها جميع المعطلة، جميع المتكلمين متفقين على أن جميع الصفات الاختيارية تستلزم التشبيه، فلذلك لا يثبتونها.

أما أهل السنة والجماعة فكل ما أثبته الله ﷻ لنفسه يثبتونه، كل ما أثبته رسوله ﷺ يثبتونه، و لا يهتمون بترهات المتكلمين، وأهل البدع؛ لأن الله ﷻ لما يثبت لنفسه شيئًا هل خفي عليه أن يستلزم التشبيه؟

لا معاذ الله، لذلك كل ما نجده في الكتاب، والسنة إنما ثبته على ما يليق بالله ﷻ، وما تليق بكماله، وتليق بجلاله.

ثم انتقل المؤلف إلى مسألةٍ مهمةٍ جدًا في العقيدة، وهذه المسألة بدأت تدون في كتب العقيدة لما كثير فيها المخالفون، وهذه المسألة مهمة جدًا، تتعلق بالصحابة.

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ

يقول: اعتقد، وقل بكل ثقة: (**إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ**)، يعني بعد النبي ﷺ هما: (**وَزِيرَاهُ قِدْمًا**)، أي قديمًا.

وزيراه هما: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، الوزير في اللغة: هو الذي يعين الملك، والذي يحمل عنه أثقاله، والوزير معه.

وأبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه كلاهما وزيرين للنبي ﷺ.

يقول: خير الناس بعد النبي ﷺ وزيراه، الترتيب هكذا: أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، (**ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ**)، هنا قال المؤلف: الأرجح، يشير إلى مسألة تقديم عثمان على علي رضي الله عنه.

طبعًا هذه المسألة اختلف فيها أهل السنة، ولكن استقر أمرهم على تقديمهم عثمان رضي الله عنه على علي رضي الله عنه، مع ذلك من يقدم عثمان في الفضل فقط على علي، فهذه المسألة لا يبدع بها أحد، أما ترتيبهم في الخلافة فيهي هكذا:

أولهم: أبو بكر رضي الله عنه.

ثانيهم: عمر رضي الله عنه.

ثالثهم: عثمان رضي الله عنه.

رابعهم: علي رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

ترتيبهم في الخلافة هذا أجمع عليه أهل السنة، أما ترتيبهم في الفضل أجمعوا على تقديم أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، ولكنهم اختلفوا في ترتيب عثمان، وعلي رضي الله عنهما، وأكثرهم على تقديم عثمان على علي رضي الله عنه في الفضل، كما هو ترتيبهم في الخلاف.

وَرابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمُ   عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

قوله: (وَرَابِعُهُمْ)، هو من كان خير أهل الأرض في وقته، وهو عليٌ رضي الله عنه، علي رضي الله عنه كان أفضل زمانه؛ لأنه توفي قبله عثمان، وعمر، وأبو بكر رضي الله عنهم أجمعين.

يقول: (وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمُ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ)، أي دائمًا هو مع الخير، المحالف للخير، حليف الخير دائمٌ، (بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ)، منجحٌ دائمًا بالخير.

طبعًا هذا الكلام الذي ذكره الناظم هنا، هذا فيه ردٌ على من اتهمه بالنصب، بعض الجهال اتهموا أبو بكر صاحب النظم، أبو بكر ابن أبي داود، اتهموه بأنه كان يبغض عليّ رضي الله عنه، وهذا الكلام يرد على هذا الاتهام، ويكذبه.

ما أدري الذي اتهمه، ولكن هذا الاتهام ذكر في ترجمته، وهو كذب على هذا الإمام.

وَرابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمُ   عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

وقد ذكر أبو بكر صاحب النظم، ذكر قال: كل من أساء إلي فقد عفوت عنه، إلا من اتهمني ببغض عليٍ رضي الله عنه.

وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ   عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

هنا اختلفت الروايات هنا، أظن ما تعلمون.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

توقفنا أمس عند حديث المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، الإمام أبي بكر بن أبي دواد، توقفنا عند حديثه عن الموقف الذي يجب أن نتخذه حيال صحابة رسول الله ﷺ، وقد قال في بداية حديثه عنهم:

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمُ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

في هذه هاتين البيتين تحدث عن الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

هنا اختلفت النسخ، في بعض النسخ كما ذكرت: وإنهم للرهط، معناه: وإنه، أي أولئك الذين أشار إليهم، وهم الخلفاء الأربعة للرهط، يعني أولئك هم الرهط، أولئك هم الرجال، وفي نسخة ولعلها هو الصحيح، نحن عندنا في الأوراق التي طبعت: وإنهم للرهط.

أيضًا فيه نسخة أخرى: وإنهم والرهط، هكذا.

إن: هذه اسمها يكون منصوبًا، والرهطَ: هذا يكون معطوفًا على إنه.

ويشير هنا: (وَإِنَّهُمْ)، أي أولئك الأربعة، (وَالرَّهْطَ)، وأولئك الذين سيذكرهم، هذا يكون معطوفًا على إنهم.

والرهط: هم الذين سيذكرهم هنا، وهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، (وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطَ)، الذين سيأتي ذكرهم، (لَا رَيْبَ فِيهِمُ)، أي لا شك فيما سينالونه من الله ﷻ من فضل، ولا شك في منزلتهم عند أهل السنة والجماعة، ولا شك في كونهم من أهل الجنة، (عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ)، النجب: هي النوق الكريمة، (عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ)، أي على النوق التي ستكون في الفردوس، (فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ)، في بعض النسخ: بالخلد: أي في الجنة، وفي بعض النسخ كما هو عندنا: بالنور تسرح.

بالنور: أي بمن عليها من أهل النور، والوضاءة، والبهار.

تسرح: أي تذهب حيث شاء أصحابها.

ثم ذكر بقية العشرة المبشرين بالجنة الذين أشار إليهم بقوله: (وَالرَّهْطَ).

سَــعِيدٌ وَسَــعْدٌ وَابْــنُ عَــوْفٍ وَطَلْحَــةُ وَعَــامِرُ فِهْــرٍ وَالزُّبَيْــرُ الْمُمَــدَّحُ

سعيد: هو سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، وابن عمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

وسعد: هو سعد بن وقاص رضي الله عنه.

وابن عوف: هو عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني.

وطلحة: هو طلحة بن عبيد الله.

وعامر فهر: هو أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي.

والزبير: هو الزبير بن العوام.

قوله: (**الْمُمَدَّحُ**)، أي له المدائح الكثيرة، ذكر هذا لضرورة السجع، القافية.

والمدائح لا شك أنها كثيرة لهؤلاء جميعًا، كل واحدٍ منهم له مدائح، وله فضائل، وله مناقب ذكرها أهل الحديث، أي أئمة الحديث: البخاري، ومسلم وغيرهم.

ثم قال بعد أن تحدث عن العشرة المبشرين بالجنة، طبعًا العشرة المبشرين بالجنة هناك أيضًا آخرون بشروا بالجنة منهم: عُكاشة، ومنهم عبد الله بن سلام، وغيرهم.

كثر الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة، ولكن هؤلاء اشتهروا بكونهم العشرة المبشرين بالجنة؛ لأن ذكرهم ورد في حديثٍ واحد.

النبي ﷺ قال في حديث رواه عبد الرحمن بن عوف: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌ في الجنة، وطلحةٌ في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيدٌ في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»، الحديث أخرجه الترمذي، وهو حديثٌ صحيح.

وبعضهم جمع هؤلاء في بيتين:

للمصــطفى خــير صــحبٍ نــص عنــهمُ في جنــة الجلــد نصًــا زادهــم شــرفا

هــم طلحــة وابــن عــوفٍ والــزبير مــع أبي عبيــــدة والســـعدان والخلفـــاء

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن خص العشرة المبشرين بالجنة، بعد أن خصهم بالجنة قال:

وَقُلْ: خَيْرُ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمُ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

هنا يوصي المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الوصية الجميلة، يقول: (وَقُلْ: خَيْرُ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمُ)، يعني اذكر الصحابة كلهم بالجميل، (وَلَا تَكُ طَعَّانًا)، يعني لا تكن ممن يطعن في الصحابة، (تَعِيبُ وَتَجْرَحُ).

هنا في هذا الكلام الجميل يشير الناظم أن الصحابة كلهم معدلون، عدول وهم مكانتهم عند الله ﷻ عظيمة، وكلهم لهم شرف الصحبة، وسماع الوحي منه غضًا طريًا كما أنزل، كلهم ثقات، ولا يجوز أن يعرض أحدٌ منهم، أو يجرح أحدٌ منهم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

مذهب أهل السنة والجماعة: أن الصحابة كلهم عدول، ولابد أن نذكرهم بالجميل من حيث الجملة، ولكن مع ذلك لهم رتب، ولهم منازل الله ﷻ أنزلهم عليها، وهم متفاوتون في الفضل والمنزلة، ولكن يجمعهم شرف الصحبة، شرف الصحبة يجمعهم، وهذا الفضل، وكونهم كلهم عدول، هذا القدر يشتركون فيه كلهم.

طبعًا أقسام الناس في الصحابة أقواهم مختلفة، بعض الناس يتكلم في أكثر الصحابة، يقسم فيهم، يجفوا في الصحابة، ولا يحسنون القول فيهم، بل منهم من يلعن الشيخين، ويلعن أكثر الصحابة، ويزعم أنه يحب أهل البيت، هذا فريقٌ من الناس، يغلوا في أهل البيت، وأحيانًا يؤلهم، ويقول بعصمة الأئمة منهم، وأما بقية الصحابة فعندهم تقصير، وجفاء في حققهم يصل إلى لعن الشيخين، والخلفاء الثلاثة، وغيرهم، هذا نوع من الناس، صنفٌ من الناس.

وصنفٌ أخر: وهم الخوارج الذين فرطوا في أهل البيت، وغيرهم عمومًا.

والصنف الثالث: الذين هم أسعد الناس بالحق، هم أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة يحسنون بالقول في الصحابة كلهم، يذكرونهم بالجميل، لا يعيبون أحدًا، لا يقدحون في أحد، ويؤمنون بأن شرف الصحابة، والعدالة تشملهم جميعًا.

ثم هم على مراتب أفضلهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة، ثم بقية المهاجرين، وهكذا.

وهذه المسألة مسألة مهمة يجب أن يتنبه لها، ولا شك أن أي طعنٌ في الصحابة هو طعنٌ في الدين؛ لأن الطعن في الناقل طعنٌ في المنقول، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا الدين، و لذلك ما من حديثٍ، إلا نرويه عن طريق رواية الصحابة.

فإذا كانوا مطعونًا فيهم، فلا يبقى في الدين شيء.

فَقَــدْ نَطَــقَ الْــوَحْيِ الْمُــبِينُ بِفَضْــلِهِمُ وَفِــي الْفَــتْحِ آيٌ فِــي الصَّــحَابَةِ تَمْــدَحُ

يقول: (نَطَقَ الْوَحْيِ الْمُبِينُ)، الوحي المبين: هو الكتاب والسنة.

المبين: هو البين.

يقول: ورد عن الكتاب، والسنة بفضل الصحابة عمومًا.

ثم أشار إلى أبيات وردت في سورة الفتح: (وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ)، في تلك الآيات مدحٌ للصحابة.

طبعًا الحديث على سورة الفتح سيأخذ وقتًا، في بداية السورة يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح:٤]، ثم يقول أيضًا في نفس السورة: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨]، أولئك أصحاب الشجرة عددهم ألف وأربع مئة، ثم يقول: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٦]، أولئك هم الصحابة، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح:٢٦]، ثم ختم السورة بقوله:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:٢٩]، كل هذه الآيات هي في فضل الصحابة، بل في الآية الأخيرة أشار الله ﷻ أن فضل الصحابة وجد، وأشير إليه في الكتب السابقة في التوراة، والإنجيل.

ثم يقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ   دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ وَالدَّيْنُ أَفْيَحُ

يقول: (وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ)، القدر: هو الركن السادس من أركان الإيمان، في حديث جبريل سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»، فهو الركن السادس من أركان الإيمان.

هنا أشار إليه بخصوصه؛ لما فيه من الاختلافات بين الفرق، (وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ)، أي بالقضاء الذي قدره الله ﷻ، (أَيْقِنْ)، لا تشك فيه لماذا؟

(فَإِنَّهُ)، أي باب القدر، (دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ)، الديانة عماد البيت، العقد: هو القيادة، أي الإيمان بالقدر عماد، أو دعامة الاعتقاد الحق، (وَالدَّيْنُ أَفْيَحُ)، أي والدين أوسع، فيه دعائم كثيرة، وطاعات عديدة منها الإيمان بالقضاء والقدر.

وكما قلنا: الإيمان بالقضاء والقدر هذا ركنٌ من أركان الإيمان، ومن الصعب أن نشير إلى ما ذهب المخالفين، ولكن نشير إلى الأركان التي لا يتم القضاء والقدر، إلا الإيمان بها.

الإيمان بالقضاء والقدر ينبني على أمورٍ أربعة، أو على أركانٍ أربعة إذا لم يتم الإيمان بشيءٍ منها، لا يتم الإيمان بالقدر:

أولاً: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، لابد أن نؤمن أن علم الله ﷻ شامل ومحيط، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:٣]، علمه شامل ومحيط، يعلم كل شيء أزلاً، وأبدًا.

هذا الركن الأول.

الركن الثاني: الإيمان بأن الله ﷻ كتب كل شيءٍ في اللوح المحفوظ، وفي حديث أن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات، والأرض بخمسين ألف سنة.

إذًا علم الله ﷻ أزلي، أما الكتابة فقبل خلق السموات، والأرض بخمسين ألف سنة.

هذا الركن الثاني، لابد أن نؤمن أن كل ما يقع في هذه الدنيا، كل ما يقع من خيرٍ، وشر في جزئياته، وتفاصيله مكتوبٌ عند الله ﷻ في اللوح المحفوظ.

هذا الركن الثاني.

الركن الثالث: لابد أن نؤمن بمشيئة الله ﷻ الشاملة والنافذة، لا يقع في الكون إلا ما يشاءه الله ﷻ كونًا، والمشيئة هي كونية، والإرادة كما نعرف تنقسم إلى قسمين:

١ـ إرادة كونية.

٢ـ إرادة شرعية.

أما الإرادة الكونية فهي لا يلزم أن تكون محبوبة لله ﷻ، ثم الإرادة الشرعية فهي محبوبة لله ﷻ، ما هو الفرق بين الإرادتين؟

الإرادة الشرعية قد تكون، وقد لا تكون، أما الإرادة الكونية فلابد أن تقع، يقول الله ﷻ: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]، الله ﷻ لا يرضى بالمعاصي، لا يرضى بالكفر، ولكنه يرضى بالطاعات.

والطاعات: هي مراد الله ﷻ شرعًا، وكونًا.

والمعاصي: هي مراده كونًا، أي لا تتعلق بمشيئة الله ﷻ، مع ذلك الإنسان الذي يفعلها يتحملها؛ لأنها فعله، هو يفعلها بقدرته، وبمشيئته، ومشيئة الإنسان في إطارها العام لا تخرج عن مشيئة الله ﷻ.

الركن الرابع من أركان الإيمان بالقدر: الإيمان بأن كل مخلوقٌ في الدنيا، مخلوقٌ لله ﷻ بما في ذلك الإنسان، وبما في ذلك أعمار الإنسان، يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

والإنسان لما يعمل، يعمل بمشيئته، وقدرته يعني الذي ليس عنده قدرة الله ﷻ لا يؤاخذه، والذي ليس عنده إرادة يكون مجنونًا الله ﷻ لا يؤاخذه.

فالفعل الذي يقع من الإنسان بإرادته، وقدرته، ومشيئته مسؤولٌ عليه.

أما الخلق فالله ﷻ.

هذه هي الأركان الأربعة للإيمان بالقضاء والقدر، وما يتم الإيمان بالقضاء والقدر، إلا بالإيمان بهذه الأربعة كلها.

وَلَــا تُنْكِــرَنَّ جَهْلًــا نَكِــيرًا وَمُنْكَــرًا   وَلَــا الْحَــوْضَ وَالْمِيــزَانَ إِنَّــكَ تُنْصَــحُ
وَقُــلْ: يُخْــرِجُ اللَّــهُ الْعَظِــيمُ بِفَضْــلِهِ   مِـنَ النَّــارِ أَجْسَــادًا مِـنَ الْفَحْـمِ تُطْـرَحُ
عَلَــى النَّهَــرِ فِــي الْفِــرْدَوْسِ تَحْيَــا بِمَائِــهِ   كَحِبَّــةِ حَمْــلِ السَّــيْلِ إِذْ جَــاءَ يَطْفَــحُ
وَإِنَّ رَسُــــولَ اللَّــــهِ لِلْخَلْــــقِ شَــــافِعٌ   وَقُــلْ فِــي عَــذَابِ الْقَبْــرِ: حَــقٌّ مُوَضَّــحُ

يقول: (وَلَا تُنْكِرَنَّ)، لا هنا لا ناهية، عمومًا هي مخففة، هي أصلها: لا تنكرن، ولكن لأصل ضرورة الشعر: لا تنكرن، (جَهْلًا)، أي لا تنكر بسب جهلك، جهلك هذا مفعولاً لأجله، بسب الجهل، لا تنكر بسبب الجهل: (نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)، هذان ملكان كريمان يأتيان للميت في قبره في فتنة القبر، وقد وردت أحاديث في تسميتهما نكيرًا ومنكرًا، وكلها لم تصح، إلا حديثًا في الترمذي صح بتسمية هاذين الملكين نكيرًا ومنكرًا، وهما يسميان نكيرًا ومنكرًا؛ لأن أشكالهما تكون بالنسبة للميت غريبة، ليس هذه التسمية لأنهما فيهما نكارة، لا هذه التسمية بالنظر إلى الميت، لأن أشكالهم بالنسبة إليه تكون غريبة، نكير ومنكر.

وهما ملكان كما قلت: يأتيان الميت في فتنة القبر، في الحديث، حديث أبي هريرة يقول: إذا قبض الميت، أو قال: قبض أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر، والأخر نكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما يقول هو: عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلى أخره.

ثم قال: (وَلَا الْحَوْضَ)، أي لا تنكر أيضًا الحوض، فالحوض هو الحوض المورود الذي أعده الله ﷻ لنبيه ولأمته، وقد جاء وصف هذا الحوض في الأحاديث: «أن طوله شهر، وعرضه شهر، ومائه أحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وعدد كيزانه»، الكيزان جمع كوز، «عدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا».

وأحاديث الحوض متواترة كما ذكر ذلك السيوطي، وغيره.

وذكر النبي ﷺ في أحاديث الحوض: «أن بعض الناس سيدفعون، سيبعدون عن الحوض فيقول النبي ﷺ: أصحابي»، وفي بعض الروايات: «أصيحابي، أصيحابي فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وأولئك الذين يبعدون ورد في مجموع من الروايات: «**أولئك الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ**»، وهم عددٌ قليلٌ ممن أسلم في أخر حياة النبي ﷺ، هم كما جاء في بعض الروايات: «**أصيحابي، أصيحابي**».

عددٌ قليل، ذكر بعض المنحرفين، بعض أهل البدع هذا دليلٌ على أن الصحابة ارتدوا كلهم، وهم سينادون على الحوض، وهذا كلامٌ من أبطل الباطل.

ثم قال: ﴿**وَالْمِيزَانَ**﴾، أي ولا تنكر الميزان أيضًا بسبب جهلك، والميزان ورد له أيضًا صفات في الأحاديث: أن الميزان توزن فيه الأعمال، والدواوين، والأشخاص، وهو ميزانٌ حقيقيٌ له كفتان، يوضع على كفته، كفةٌ منه الحسنات، وفي كفةٍ هناك أخرى السيئات.

ونحن نؤمن بكل ما ورد عن الميزان سواءً ميزان الأعمال، وسوءًا صفات الميزان، وسواءً كل ما يوضع في الميزان.

والمعتزلة أنكروا الميزان، قالوا: لأن الأعمال هذه أعراض، الأعراض لا توزن، هكذا قالوا.

سبحان الله نحن الأن نرى أن الصوت هو عرضٌ من الأعراض يوزن، يعني يسجل، ويعرف كم قدره، ويتصرف، وغير ذلك من الأعراض.

أما أولئك أنكروا كثيرًا مما ورد في الكتاب، والسنة بحجة أن عقولهم لم تستسغها.

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهَرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

يقول: لابد أن تؤمن أيضًا أن الله ﷻ سيخرج من النار بفضله بعض الناس الذين صاروا فحمًا، الذين احترقوا، أحرقهم النار، وصاروا فحمًا، ثم يطرحون على النهر في الفردوس، (**تُطْرَحُ**)، هذه تتعلق بما بعدها، أي تلك الأجساد تترك على النهر في الفردوس، (**عَلَى النَّهَرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ**)، يعني تترك هناك، تطرح هناك، ثم تحيا بماء الجنة، (**كَحَبِّ حَمْلِ السَّيْلِ**)، في بعض النسخ: (**كَحَبَّةِ**)، وهما بمعنى واحد.

الحبِ بالكسر: بمعنى بذور الصحراء ما ليس بقوت، وقيل هو نبتٌ صغيرٌ ينبت في الحشيش، أما الحبة: فهي ما يزرعه الناس، وحميل السيل: الذي يحمله السيل، يعني السيل إذا جاء حمل معه البذور، ويلقيها على جنبي النهر، ثم تحيا هذه البذور، وتنبت بماء السيل، وهذه الأشياء يكون في أولئك المخرجين.

أولئك المخرجون هم أهل التوحيد الذين لهم معاصي، والذين عندهم بعض المعاصي، الله ﷻ يدخلهم النار، ويتطهرون هناك، ويصيرون فحمًا، ثم يخرجون من هناك، ثم يلقون على باب الجنة كما ورد في حديث، ثم يحيون بمائه كحب حميل السيل.

ولكنه لم يأتي في الأحاديث التي صرحت بإخراج الموحدين من النار، لم يأتي فيها ذكر الفردوس، ذكر الفردوس فيها شيءٌ من التساهل؛ لأنه لم يأتي في الأحاديث، والذي أتى في الأحاديث أنهم يطرحون في نهر الجنة يقال له: نهر الحياة، ثم يحيون، فذكر الفردوس هنا قد تكون فيه بعض المسامحة.

قوله: (**إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ**)، أي إذا جاء ذلك السيل، يعني وقت مجيئه، (**يَطْفَحُ**)، أي يفير، يقال طفح الإناء، ويقال: طفح الكيل، أي امتلأ وارتفع.

وطبعًا هؤلاء الذين ذكرو، ذكرهم الناظم هنا هم من أهل الكبائر، والعظائم الذين عندهم معاصي، والمعاصي هذه دون الشرك، لأن المشرك هو مخلدًا في النار إذا توفي قبل أن يتوب، مخلد في النار أبد الآبدين.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

أشار الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن النبي ﷺ يشفع للخلق، طبعًا النبي ﷺ له شفاعاتٌ عديدة، والشفاعة التي أشار إليها الناظم؛ لأنه قال: (لِلْخَلْقِ)، هذه هي الشفاعة العظمى التي تكون في عرصات يوم القيامة، والتي يغبطه الأولون والآخرون، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود، وتكون للجميع.

طبعًا حديث الشفاعة طويل خلاصته: أن الناس يوم القيامة لما يتأخرون في عرصات يوم القيامة يأتون إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم إلى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكلهم سيحلونهم إلى النبي ﷺ، ثم يأتون إليه، وهو يشفع للجميع حتى يعجل حسابهم، وهذا هو المقام المحمود.

والنبي ﷺ له شفاعات أخرى، له شفاعات خاصة، وشفاعات عامة، وشفاعات لبعض الناس، أما الشفاعة العامة فهي هذه المقام المحمود، أما الشفاعة الخاصة فمنها:

١ـ شفاعته لعمه أبي طالب؛ لأنه مات كافرًا، والنبي ﷺ سيشفع له حتى يخفف عنه.

٢ـ شفاعته لبعض من دخل النار حتى يخرجوا.

٣ـ شفاعته لبعض الذين دخلوا الجنة حتى ترتفع درجاتهم.

وهذه أنواع الشفاعات أوصلها بعض أهل العلم إلى ثماني شفاعات، وشفاعته كما قلت عديدة.

والشفاعة أنكرها أيضًا الخوارج، والمعتزلة؛ لأنهم يقولون: كل من وقع في الكبائر فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

طبعًا يستدلون ببعض الآيات، وينزلونها في غير مواضعها، والله ﷻ ذكر أن الشفاعة تنفع بشرطين:

١ـ أن يرضى عن المشفوع، وأن يكون من أهل التوحيد

٢ـ أن يأذن للشافع.

ومن أنكر الشفاعة من الخوارج، والمعتزلة.

ثم قال: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ)، قل أي اعتقد، وقل بكل ثقة أن عذاب القبر (حَقٌّ)، أي ثابت فآمن به، وصدق به، (مُوَضَّحُ)، أي في السنة والكتاب.

وورد في بعض الآيات، وردت هذه كثيرة في عذاب القبر، من الآيات التي وردت قوله سبحانه عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

ثم انتقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مسألةٍ طال فيها الخلاف بين أهل السنة، وبين المخالفين، وهي مسألة: أهل الكبائر

وَلَـا تُكَفِّـرَنَّ أَهْـلَ الصَّـلَاةِ وَإِنْ عَصَـوْا فَكُلُّهُـمْ يَعْصِـي وَذُو الْعَـرْشِ يَصْـفَحُ
وَلَـا تَعْتَقِـدْ رَأْيَ الْخَـوَارِجِ إِنَّـهُ مَقَـالٌ لِمَـنْ يَهْـوَاهُ يُـرْدِي وَيَفْضَـحُ

يقول: الذين هم أهل الصلاة، يقيمون الصلاة، أي مسلمون لا تكفرهم، أي لا تخرجهم من الإيمان والإسلام، (وَإِنْ عَصَوْا)، أي وقعوا في الكبائر، لماذا؟

(فَكُلُّهُمْ يَعْصِي)، لا أحد يخلوا من المعاصي، كما ورد في الحديث: «**كل ابن آدم خاطئون، وخير الخطائين التوابون**»، (فَكُلُّهُمْ يَعْصِي)، الناس كلهم يقعون في المعاصي، وهم يتفاوتون في ذلك، (وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ)، والله ﷻ هو الغفار.

يقول: من وقع في الكبائر لا تكفره.

وَلَـا تَعْتَقِـدْ رَأْيَ الْخَـوَارِجِ إِنَّـهُ مَقَـالٌ لِمَـنْ يَهْـوَاهُ يُـرْدِي وَيَفْضَـحُ

لا تعتقد رأي الخوارج؛ لأن الخوارج يرون أن مرتكبي الكبيرة كافر يخرج من الملة، يخرج من الإسلام، وتأثر بهم المعتزلة، المعتزلة يرون أن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخر هو خالدٌ مخلدٌ في النار.

إذًا يقول: (وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ)، الخوارج يكفرون، يقعون في التكفير، عندهم غلو، (وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ)، يعني هذا المقال، من هذا المقال: (يُرْدِي وَيَفْضَحُ)، يهلكه.

إذًا ابتعد عن رأي الخوارج، ولا تقع فيه؛ لأنه مقالٌ لمن يهواه، لم يقل المؤلف لمن يتبعه،؛ لأنه كله هوى، (لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي)، أي يهلكه، (وَيَفْضَحُ)، يفضحه.

وَلَـا تَـكُ مُرْجِئًـا لَعُوبًـا بِدِينِـهِ   أَلَـا إِنَّمَـا الْمُرْجِـيُّ بِالـدَّيْنِ يَمْـزَحُ

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، ذكر أهل الغلو في البيتين السابقين، هنا ذكر من يقابلهم.

الذي يقابل الخوارج، والمعتزلة هم المرجئة، الخوارج والمعتزلة يخرجون أهل الكبائر بكبائرهم، أما المرجئة فيرون أن ارتكاب الكبائر لا يؤثر في الإيمان.

يقولون: إيماننا كإيمان الملائكة، والمعاصي لا تؤثر في الإيمان، وكل مرتكبي الكبائر يكون إيمانهم كاملٌ لا يتأثر في المعاصي.

وقد وصفهم الناظم الحقيقة وصفًا جميلاً جدًا، يقول الناظم: (وَلَا تَكُ مُرْجِئًا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدَّيْنِ يَمْزَحُ)، يعني من يعتقد أن المعاصي لا تؤثر في إيمانه، وأنه مهما ارتكب المعاصي، وارتكب المهلكات، والموبقات يكون كالملائكة هذا في الحقيقة يمزح في الدين، ويعلب في الدين.

يقول: (وَلَا تَكُ مُرْجِئًا لَعُوبًا بِدِينِهِ)، هذا يفتك بالدين، (أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدَّيْنِ يَمْزَحُ).

وَقُـــلْ: إِنَّمَـــا الْإِيمَـــانُ قَـــوْلٌ وَنِيَّـــةٌ وَفِعْـــلٌ عَلَـــى قَـــوْلِ النَّبِـــيِّ مُصَـــرَّحُ
وَيَـــنْقُصُ طَـــوْرًا بِالْمَعَاصِـــي وَتَـــارَةً بِطَاعَتِـــهِ يُنَمَّـــى وَفِـــي الْـــوَزْنِ يَـــرْجَحُ

يقول: بالنسبة للإيمان لابد أن تعتقد بأن الإيمان فيه قولٌ، واعتقادٌ، وفعل.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

المرجئة يرون أن الإيمان هو اعتقادٌ فقط، بعضهم يقولون: أن الإيمان هو تصديقٌ فقط، بعضهم يقولون: أن الإيمان هو تصديقٌ وقول.

أما أهل السنة والجماعة فمذهبهم: أن الإيمان قولٌ، ونيةٌ، مقصودٌ بالنية: هو الاعتقاد، قولٌ، واعتقادٌ، وفعل.

الاعتقاد أيضًا يدخل في الإيمان، والفعل أيضًا يدخل في الإيمان، هذا هو الصحيح الأعمال من الإيمان.

أما المرجئة فيخرجون الأعمال من الإيمان.

يقول النبي ﷺ في الحديث، في حديث شعب الإيمان: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شبعة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»، في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ في حديثٍ واحد أن الإيمان فيه قولٌ، وفيه عملٌ، وفيه الاعتقاد.

إذًا لابد أن تعتقد أن الإيمان فيه قولٌ، وفيه اعتقادٌ، وفعلٌ، (عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ)، النبي ﷺ ورد في أحاديثه تصريحٌ بأن الإيمانٌ قولٌ، ونيةٌ، وفعل، ليس معناه أنه ورد في حديثٍ واحد، ولكن يقول: أن مجمل الأحاديث ذُكر أن الإيمان تعريفه في أشهره قال هو هكذا.

قوله: (وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي)، وهذا أيضًا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، (وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يُنَمَّى) ، أي يزيد، (وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ)، أي بطاعته يزيد ويترجح في الوزن، أي يزيد، وينقص بالمعاصي.

وهذا أيضًا كما ذكرت مذهب أهل السنة والجماعة، أما المرجئة لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الإيمان عندهم بسيط، وإيمان الجميع عندهم إيمانٌ كامل.

وَدَعْ عَنْـــكَ آرَاءَ الرِّجَـــالِ وَقَـــوْلَهُمْ فَقَـــوْلُ رَسُـــولِ اللَّـــهِ أَزْكَـــى وَأَشْـــرَحُ

يعني سبحان الله أبيات الناظم كلها جيدة، وبعضها جميلة جدًا.

يقول في الأخير: (وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ)، يعني كثرة أراء الرجال؛ لأن أراء الرجال هي تبقى أراءً للرجال ليست دينًا، ودع أيضًا قولهم، لماذا؟

لأن: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ)، النسخة وزعت هنا أولى وأشرح، في بقية النسخ: أزكى وأشرح.

أزكى: أي أطهر، وأنقى، وأخلص، وفي النسخة التي عندنا: أولى، وأيضًا معناها صحيح.

يقول: (وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ)، آراء الرجل هي السبب في بعد هذه الفرق عن الدين، بعضهم تبع فلانًا، وبضعهم تبع علانًا فتفرقوا في دينهم، لو أنهم ابتعدوا عن مراء الرجال، اعتصموا بالكتاب والسنة لم يخرجوا عن السنة في شيءٍ من عقيدتهم، وفي شيءٍ من سلوكهم وأعمالهم.

وَلَـــا تَـــكُ مِـــنْ قَـــوْمٍ تَلَهَّـــوْا بِـــدِينِهِمْ فَـــتَطْعَنُ فِـــي أَهْـــلِ الْحَـــدِيثِ وَتَقْـــدَحُ

هذه أيضًا وصية من أهم الوصايا: (وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ)، تلهوا أي ممن اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، الدين عندهم هو اللهو واللعب، وهذا شامل لجميع أهل البدع، أهل البدع والأهواء، وأهل الفسق والفجور، الجميع يشتركون في ذلك ما بين مقلٍ، ومكثر.

وَلَـــا تَـــكُ مِـــنْ قَـــوْمٍ تَلَهَّـــوْا بِـــدِينِهِمْ فَـــتَطْعَنُ فِـــي أَهْـــلِ الْحَـــدِيثِ وَتَقْـــدَحُ

يقول الذين أخذوا دينهم لهوًا، ولعبًا يقعون في أمورٍ خطيرة جدًا منها: أنهم يطعنون في أهل الحديث، وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة، والذين يطعن في أهل الحديث أول ما يحرم منه العقيدة التي يجدها عند أهل الحديث؛ لأنه يطعن فيهم.

وهذا عامٌ في أهل البدع، كلهم يطعنون في أهل الحديث ما بين مقلٍ ومكثر، ولذلك لا يوفقون إلى الاعتقاد الصحيح.

ثم ختم هذا النظم بقوله:

إِذَا مَــا اعْتَقَــدْتَ الــدَّهْرَ يَــا صَــاحِ هَــذِهِ فَأَنْـــتَ عَلَـــى خَيْـــرٍ تَبِيـــتُ وَتُصْـــبِحُ

يقول: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ)، الدهر: أي إذا ما اعتقدت في دهرك كله، أي في حياتك كلها، (يَا صَاحِ)، صاح هذه مرخم، مثل ما يقال: يا عائش، هذا يسمى في اللغة ترخيمًا، أصله يا صاحب؛ ولكنه رخمه لضرورة الشعر.

قوله: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ)، أي هذه العقيدة التي ذكرتها لك، (فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ)، فيقول: فأنت في مساءك، وفي صباحك، وفي يومك، وفي ليلك، وفي نهارك على خيرٍ دائمٍ.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة، وأن يميتنا عليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.